إخوانجي وناصري

عندما أشاد الرئيس الإخواني محمد مرسى بدور الزعيم الراحل جمال عبد الناصر في زيارته الأخيرة لإيران، بعد أن كشف صراحة عن موقفه وآلامه منه في ميدان التحرير وسط «أحبته» وهو يقول بنوع من التشفي والحقد:

- «الستينيات وما أدراك ما الستينيات»!

حينها وضعنا أيدينا على قلوبنا خوفا ورعبا من القادم، ومع ذلك ظننا أن الرئيس الإخواني سينسى هذه المواقف وتلك الآلام التي لم يرَها شخصيًّا أو يعِشْها؛ لأنه ببساطة شديدة كان في هذه الفترة طفلاً صغيرًا، أو إن شئنا فلنقل «كان صبيًّا».

لكن من الواضح ــ الواضح جدًّا ــ أن هذا الرجل تَشبَّعَ حتى النخاع بثقافة من ساندوه في الوصول للحكم.. وهذا ما أبداه في تكريمه للفريق سعد الدين الشاذلي ــ أحد أبطال قواتنا المسلحة العِظام ــ والرئيس الراحل محمد أنور السادات ــ بطل حرب العاشر من رمضان المُقدسة ــ وقبلهما مؤسس سلاح الصاعقة الفريق البطل جلال الهريدي، ونَسِيَ عمدًا متعمدًا تكريم الزعيم خالد الذكر جمال عبد الناصر.

ما سبق كان ملخصًا لحديثي مع زميلي محمد السيد – رئيس قسم الحوادث بجريدة الدستور آنذاك - أثناء رحلتنا من محطة الدقي إلى محطة المرج القديمة –

حيث محل إقامة كلينا، وذلك تعقيبًا على زيارة «مرسى» لإيران في هذا التوقيت، فقال لي زميلي:

– لعل الرئيس الإخواني بعدم تكريمه للزعيم جمال عبد الناصر أراحه، وأرجع له ولجماعته ثأرًا قديمًا مات وانتهى!

فقلت لزميلي:

– أعتقد أن عبد الناصر يستحق منا الكثير والكثير، مكافأة وعرفانًا على ما قدمه لبلده ولشعبه ولأمته، فقد كان وسيظل عبد الناصر نموذجًا كريمًا للحاكم الذى مثَّل جميع طوائف مصر، وإن اختلف مع فصيل بعينه كـ«الإخوان»، فهذا أمر متوقع نتيجة أسباب معروفة سلفًا.

تَدخَّلَ في الحوار ضابط جيش متقاعد يتعدى السبعين بقليل، فقال:

– لو كنت مكان «مرسى»، لهرولت وكرمت عبد الناصر؛ لأنه ببساطة أستاذ من كرمهم مرسى جميعًا، ليس في العسكرية فقط، بل في الوطنية أيضًا. وإذا أراد «مرسي» ذلك، وهذا ما نتمناه بعيدًا عن أشرار جماعته، فلن يكلفه الأمر سوى معلومات بسيطة من المخابرات العسكرية أو العامة، وبهذا سيثبت للجميع أنه فعلاً سيكون رئيسًا لكل المصريين.

قلت للضابط:

– سيدي الكريم، إن الوقت ما زال مبكرًا لأن يصبح «مرسي» رئيسًا حقيقيًّا لكل المصريين؛ لسبب بسيط جدًّا، ألا وهو أنه مجرد «فرد» إخواني تأتيه الأوامر من مكتب الإرشاد؛ لذا فإنه لا يملك من أمره أي شيء، فمن نصحه بتجاهل زعيم وقائد بحجم وقامة «ناصر».. قد أضر بشخصه وجماعته بشكل خاص، وبمصر بشكل عام.

ثم وجه زميلي محمد كلامه لي وللضابط:

- والله إن «جمال» قاد أكبر عملية تحول وطني وصناعي واجتماعي في العالم العربي، وكان له الفضل في الحفاظ على تراب هذا البلد من الضياع رغم نكسة يونيو 67، ويكفيه فخرًا أنه قاد حرب الاستنزاف وسط مؤامرة صهيو- عالمية، مهدت الطريق لنصر أكتوبر العظيم، وهذا يجعلني خائفًا على مصر، وأتمنى أن نتجاوز هذه الخلافات «علشان خاطر ربنا، وحفاظًا على هذا الشعب من التمزيق.. وعلى مصر من الضياع، خصوصًا فى ظل الظروف الراهنة».

قال الضابط لنا:

- لا يغرنَّكما صمت الشعب وصبره على بلاوي الإخوان وسرقتهم لثورتنا، وتجاهلهم لمطالبنا، وهل نسيتما كلام «مرسى» حينما قال:

- «لا يغرنَّكم حلم الحليم»، وذلك في إشارة واضحة منه بالتهديد لمواطنين بعينهم.

صمت زميلي قليلاً كأنه يستدعى موقفا ما، ثم قال:

- المفروض يفهم هذا الإخواني وجماعته أيضًا بألا يغرنَّهم حلم الشعب وصبره على ما وصلنا إليه من انفلات أمنى وارتفاع في الأسعار وزيادة في البطالة وتهديد لحدودنا ومياهنا وضياع ثورتنا وثرواتنا.

سألت الضابط:

- أتذكر نصيحة الحجاج بن يوسف الثقفي لمن يريد أن يحكم مصر؟

- نعم، لقد حذر الحجاج أي حاكم يريد حكم المصريين بقوله: احذروا غضب المصريين، فإن قاموا على رجل ما تركوه إلا وقد قطعوا رأسه.. فاتقوا غضبهم ولا تشعلوا نارًا لا يطفئها إلا خالقهم.. وانتصِروا بهم.. فهم خير أجناد

الأرض.. واتقوا فيهم ثلاثًا: نساءهم فلا تقربهم بسوء، وإلا أكلوكم كما تأكل الأسود فرائسها.. وأرضهم وإلا حاربتكم صخورهم.. ودينهم وإلا أحرقوا عليكم دنياكم، فهم «المصريون» كصخرة فى جبل كبرياء الله.. تتحطم عليها أحلام أعدائهم وأعداء الله.

فجأة صعد رجل مُلتحٍ بين الأربعين والخمسين من عمره، وظل يعظ الركاب وينصحهم بالتعاون مع الإخوان و....

وهنا تَصدَّى له شاب من عمر أولاده، وقال له:

- أنتم كاذبون، منافقون، وقد سرقتم ثورتنا بأساليبكم الـ«.....».

حاول الرجل أن يشتبك مع الشاب بالأيدي، بعد أن وجه له وصلة من السباب والاتهامات غير اللائقة.. لولا تدخل الضابط وسيطرته على الموقف.

من جانبي استكملت حواري مع زميلي والضابط المحترم، فقلت:

- ما سبق يُنسَب للحجاج. أما العبد الفقير إلى ربه فيموت في مصر عشقًا، ولا ينتمى إلا لتراب هذا الوطن، ويعلم قدره جيدًا، لذا فإنني أضيف على نصيحة «الحجاج» تحذيرًا لهؤلاء الخونة أو غيرهم:

- حذارِ ثم حذارِ من التعالي على هذا الشعب أو المكر له أو الضحك عليه أو الاستهتار والاستهانة به، وتساءلت:

- كيف نطلب من جائع أو مريض أو عاطل أو مظلوم أو فقير سُلبت أمواله أن يصبر على بلائه؟! هل نطلب من هؤلاء، وهم السواد الأعظم من المصريين، أن يصبروا مائة يوم أخرى على مصائبهم؛ حتى يتحقق لهم مشروع «النهضة» الإخوانى مثلاً، في حين ينعم الإخوان وخُدامهم وحواريوهم بما لذ وطاب من مال وأرض ومناصب ؟!

سألني الضابط:

– باعتقادك هل نطلب من المصريين نسيان هذا المشروع الذى رفعه الإخوان كبرنامج لـ «مرسى» في الانتخابات الرئاسية؟! فإذا كان الأمر كذلك، وهذا ما أكده رجلهم الأقوى خيرت الشاطر ــ نائب المرشد العام للإخوان ــ فعلى أي أساس سيصبر المواطن، وهو يرى حاضره ومستقبله مظلمًا.. مظلمًا.. مظلمًا؟!

رددتُ عليه:

– ليت هؤلاء الخونة يصارحون الشعب بحقيقة الأمور قبل أن تأتى فتنة تأكل الأخضر واليابس.. ليتهم يصارحون الشعب بحقيقة اقتصاده وثرواته وديونه وتبعيته.. ليتهم يصارحون الشعب بإمكانات حل مشاكله.. وليتهم يكشفون تلك الحقائق المُرَّة للشعب. لقد انتابتنى الحيرة وأنا أنظر إلى تلك القلادات التي يصل وزن الواحدة منها إلى 250 جراماً من الذهب الخالص، عندما يقرر شخص إخواني أن يمنحها لمن يريد، ويرضى عنه هو وجماعته دون سواه!!

وانتهى الحوار بتساؤل زميلي:

– هل يحق للرئيس – أي رئيس – أن يُبدد أموال شعبه، دون أن تحاسبه جهة هنا أو هناك؟!

وقبل أن أجيب زميلي، أو يجيب عليه الضابط، كان الحوار قد انتهى بوصولي وزميلي إلى محطة المرج القديمة.. لكن ظلت توابع حكم «الإرهابية» حتى طباعة هذا الكتاب.. انتهى.